مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
مجلد: 10عدد: 03السنة 2018 رقم العدد التسلسلي 17

تجربة التعليم الأصلي في الجزائر ودورها في تحقيق وإرساء المرجعية الدينية والوطنية

The experience of the original education in Algeria and its role in achieving and establishing a religious and national reference

د. لعلى يحياوي– جامعة باتنة1
yahiaouilaala@gmail.com
أ. إكرام عيساني– جامعة باتنة1
ikramdemographie@gmail.com

تاريخ الإرسال 2018/10/05– تاريخ القبول 2018 /12/08– تاريخ النشر2018/12/08

ملخص:

يعد التعليم القاعدة الصلبة التي تبني عليها الدول مشروعاتها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وتحقق من خلاله مستقبلها الذي تتطلع إليه، وقد ورثت الجزائر المستقلة منظومة تعليمية مستمدة من التعليم الفرنسي سواء من حيث التشريعات أو المناهج واللغة والمحتوى. وهذا ما لا يتوافق مع مقومات الأمة الجزائرية وتطلعات الشعب الذي ضحى كثيرا من أجل استرجاع ثقافته العربية الإسلامية. وأمام هذا التحدي جاء التفكير في تأسيس منظومة تعليمية تتوافق مع المنطلقات الفكرية والحضارية للشعب من خلال إنشاء التعليم الأصلي لإعادة الاعتبار للغة العربية والثقافة الإسلامية. وكانت عثرات التعليم العام والمعاهد الدينية العامل الأول في ظهور التعليم الأصلي بموجب المرسوم 299/71 المؤرخ في 31 ديسمبر 1971.والذي يهدف إلى تكوين الطالب المقتنع بانتسابه إلى أمته ووطنه. إن البحث في تجربة التعليم الأصلي في الجزائر يقودنا إلى القول بأن إلغاء التعليم الأصلي كان السبب في الانغلاق الديني، فإلغاؤه دفع بعض الشباب المتحمس للبحث عن مصادر وجهات أجنبية خارجية ليتعلم دينه مما أدى إلى الانحراف في العقيدة والسلوكيات وبعض

الممارسات التي لا تمت للإسلام الحنيف بصلة كالتطرف والتكفير والإرهاب وغيرها.ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى أن التعليم الأصلي أحدث ثورة تعليمية تربوية حقيقية في الجزائر في مدة زمنية وجيزة، بإمكانيات مادية وبشرية محدودة. وقد دفعت الجزائر الثمن غاليا بعد إلغاءه. وبناء على النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة يمكن الخروج بجملة من التوصيات لعل أهمها تسليط الضوء على التعليم الأصلي، وإيلائه الأهمية التي تليق به، وذلك بتوضيح ماهيته ومنهجيته، والتنويه بمخرجاته الإيجابية من طلبة مزودين بمعارف عن العلوم الشريعة والكونية تؤهلهم للمساهمة في بناء الدولة والحفاظ على هويتها.

Abstract

Education is the solid foundation on which states build their social, cultural, political and economic projects. Independent Algeria has inherited an educational system derived from French education in terms of legislation, curriculum, language and content. This is not compatible with the fundamentals of the Algerian nation and the aspirations of the people who sacrificed so much to restore their Arab and Islamic culture. Faced with this challenge, it had to give attention to the educational aspect. The idea was to establish an educational system compatible with the intellectual and cultural values of the people through the establishment of the original education to restore the Arabic language and Islamic culture.The study of the experience of the original education in Algeria in all its aspects leads us to say that the abolition of the original education was the reason for the religious closure. Its cancellation prompted some enthusiastic young people to search for foreign sources and foreigners to learn their religion, which led to deviation in the doctrine and behaviors and some practices that did not belong to Islam Al-Hanif is a bulwark like extremism, atonement, terrorism and others.Through this study, we found that the original education revolutionized a real education in Algeria in a short period of time, with limited material and human resources. Algeria paid early for its cancellation. Based on the findings of this study, it is possible to come up with a number of recommendations, the most important of which is to shed light on the original education, and to give it the importance it deserves, by doing more research and studies that explain its nature and methodology, and noting its positive outcomes from students with knowledge about Sharia And the universe qualifies them to contribute to the building of the state and preserve its identity.

- **key words:** -Nation reference, Original education,Religious reference, Establishing

مقدمة:

يعد التعليم القاعدة الصلبة التي تبني عليها الدول مشروعاتها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وتحقق من خلاله مستقبلها الذي تتطلع إليه، وبواسطته تغرس القيم المعرفية والخلقية، وتتم معرفة مكونات الهوية الثقافية خاصة وأن معيار تقدم أو تخلف الشعوب والأمم يقاس بجودة التعليم وفعاليته في تكوين شخصية إنسان فعال ذو كينونة وهوية.

وقد ورثت الجزائر المستقلة منظومة تعليمية مستمدة من التعليم الفرنسي سواء من حيث التشريعات أو المناهج واللغة والمحتوى. وهذا ما لا يتوافق مع مقومات الأمة الجزائرية وتطلعات الشعب الذي ضحى كثيرا من أجل استرجاع ثقافته العربية الإسلامية، واستعادة الوجه الحقيقي للبلاد.

وأمام هذا التحدي كان لزاما على الجزائر أن تولي الجانب التعليمي الاهتمام والرعاية، فجاء التفكير في تأسيس منظومة تعليمية تتوافق مع المنطلقات الفكرية والحضارية للشعب من خلال إنشاء التعليم الأصلي لإعادة الاعتبار للغة العربية والثقافة الإسلامية بكل مكوناتها العقدية والحضارية واللغوية تطبيقا لشعار "الجزائر وطننا والعربية لغتنا والإسلام ديننا".

فكيف نشأ وتطور التعليم الأصلي في الجزائر؟ وما هي أبرز أهدافه؟ وما دوره في إرساء ودعم المرجعية الدينية والوطنية للجزائر؟

أولا– نشأة وتطور وأهداف التعليم الأصلي

1. أسباب إنشاء التعليم الأصلي:

إن الصعوبات التي اعترضت التعليم في الجزائر عقب الاستقلال كانت السبب الرئيسي في البحث عن تعليم ذو طبيعة مختلفة لإرجاع صيرورة العملية

التربوية إلى مسارها الصحيح بعدما حادت عنه ووضع طريق آخر مختلف عن السائر العمل به، وبالتالي فإن عثرات التعليم العام والمعاهد الدينية كانت العامل الأول في ظهور التعليم الأصلي بموجب المرسوم 299/71 المؤرخ في 31 ديسمبر 1971 الصادر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية المتضمن تنظيم الإدارة المركزية للوزارة[1].

أسس التعليم الأصلي لتخريج دفعات جزائرية معترف بها وطنيا ودوليا تقوم بمواكبة التطورات المعاصرة، خاصة وأن السنوات الأولى بعد الاستقلال اتسمت بالاضطراب وعدم الاستقرار سياسيا واقتصاديا وثقافيا. ويعود ذلك للأسباب التالية:

أ. الأسباب السياسية

شهدت الجزائر عقب الاستقلال مباشرة صراعا على السلطة من أجل التموقع في المناصب القيادية الحساسة التي تمكن مسؤوليها من التأثير في باقي القطاعات، فكان نصيب وزارة الشؤون الدينية التهميش والإهمال من طرف السلطات السياسية التي كانت تراودها شكوك حول جدوى النشاط الذي تمارسه هذه الوزارة، بينما كان عامة الشعب ينظرون إلى هذا النشاط بالرغم من تشتته وضيق مجاله نظرة تفاؤل، ويعتبرونه السبيل الوحيد المؤدي إلى ضمان وصول المعرفة الإسلامية لكافة الشعب الجزائري على الوجه الصحيح[2].

وتجدر الإشارة إلى أن نظرة السلطة في تلك الفترة اتجهت لتقليص أجهزتها ومصالحها المركزية لتبرير تقتيرها في تخصيص الاعتمادات المالية والتجهيزات المادية[3]. بالإضافة إلى إقصاء المثقفين الداعين إلى العمل باللغة العربية من الدوائر السياسية في خضم الصراع السياسي بين المعربين والمفرنسين.

كما أن تجميد نشاط المدارس الحرة التي كانت تنشط أيام الاستعمار الفرنسي استلزم تعويضها ببديل توافق عليه السلطة السياسية وتقدمه للمجتمع كبديل تتم من خلاله قراءة الوجهة الدينية التي تسعى الدولة للتحرك والدوران في فلكها، فكان التعليم الأصلي تعليما يتوافق مع طموحات الشعب ومصالح الدولة.

ب. الأسباب التربوية

قررت الجزائر المستقلة في أول دخول مدرسي في أكتوبر 1962 إدخال اللغة العربية في جميع المدارس الابتدائية، لكنها واجهت فراغا كبيرا في نقص المعلمين بسبب رحيل المعلمين الفرنسيين بشكل جماعي وتغيير السياسة التربوية في الجزائر، زيادة على انقطاع بعض المعلمين الجزائريين عن التدريس، والتحاقهم بقطاعات أخرى، فأسندت مهمة التدريس لمعلمين مبتدئين بعد أن تدربوا في ورشات صيفية[4]. فتم تغيير البرامج التعليمية الموروثة عن العهد الاستعماري، ونصبت لجان خاصة لتعريب التعليم وتسطير البرامج التربوية بناء على منظومة تربوية تعليمية جزائرية قادرة على مجاراة تحديات الواقع المعاش آنذاك.

كل هذه الظروف التربوية ولتحقيق الأهداف المسطرة المذكورة آنفا كانت هي الأسباب المساهمة بقوة لإنشاء التعليم الأصلي نموذجا وليس كحل بديل.

ج. الأسباب الاجتماعية

إن الوضع الاجتماعي في الجزائر غداة الاستقلال كان وضعا كارثيا بسبب انتشار البطالة وعدم كفاية المدارس وقلة الأساتذة، مما سبب الاكتظاظ في الأقسام وصعوبة أداء المهمة التربوية[5]. بالإضافة إلى الوضع المالي المتردي ومعاناة الأرياف والقرى ومناطق الجنوب من عدم توفير المدارس وقلة الكوادر.

كل هذه الظروف ساعدت على ظهور التعليم الأصلي الذي انتشر في المناطق النائية والريفية، خاصة بعدما أصبح المجتمع الجزائري يعاني من مظاهر الانحلال الخلقي التي تعد من رواسب وبقايا مخلفات الاستعمار[6] وغياب الثقافة الاسلامية. ومن هنا فوزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية أصبحت هي المؤسسة المؤهلة للسير بالمجتمع نحو الأفضل، خاصة وأن معاهدها أعدت خصيصا لتكوين كوادر الإصلاح انطلاقا من البيئة التي تحيط بالطلبة.

د. الأسباب الإدارية

ظلت وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية لعدة سنوات تعاني من افتقار مؤسساتها ومصالحها إلى نصوص قانونية، الأمر الذي حرمها من الإمكانيات المادية والبشرية اللازمة للقيام بمهامها. بالإضافة إلى الانطباع المأخوذ عنها

باعتبارها مؤسسة تعتني بشؤون الدين فقط، إضافة إلى العمل بنظام العقود للأساتذة المصريين دون الجزائريين، وقلة الإطارات الجزائرية الكفؤة، مما جعل الدولة تستوحي لهذا القطاع النصوص القانونية المعمول بها في وزارة التربية الوطنية، ماعدا بعض الاختلافات الاستثنائية التي تدخل في إطار الإجراءات التي من شأنها أن تضمن تسيير المعاهد الإسلامية تسييرا سريعا وفعالا[7].

بالإضافة إلى أن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية كانت تفتقر إلى تأييد السلطة واعتراف المؤسسات العمومية بوجودها، كما كانت في أمس الحاجة إلى الكفاءات المدربة على التخطيط والتسيير الإداري، ومما عقد الأمور قلة الاعتمادات المالية المخصصة لميزانية الوزارة مقارنة بما حظيت به باقي الوزارات الأخرى، مما أدى إلى اتسام نشاط الوزارة بالعفوية والارتجال[8].

2. أهداف التعليم الأصلي

منذ تأسيس وزارة الأوقاف عقب الاستقلال فكر المسؤولون عنها في الوضع الديني الذي تعيشه الجزائر من نقص في النخب الدينية وبقاء المساجد شاغرة خاصة وأن العدد القليل من القائمين عليها التحقوا بسلك التعليم بوزارة التربية الوطنية. لذلك تقرر إنشاء تعليم ذو طابع ديني حتى يتمكن من سد هذا الفراغ عن طريق فتح العديد من المعاهد عبر ربوع الجزائر لفتح المجال للشباب الراغب في التخصص في الشريعة الإسلامية لتكوين إطارات جزائرية في السلك الديني من أئمة ومرشدين ومعلمين ورجال إفتاء.

ويمكن إجمال الأهداف التي أنشئ من أجلها التعليم الأصلي في الآتي:

الأهداف العامة

إن الطابع المميز للتعليم الأصلي هو اعتماده أساسا على الثقافة العربية الإسلامية التي تمكن الطلبة من التعرف على أصول هذه الثقافة، وخصائص العقول التي أنتجتها ومنابع الإبداع فيها. ويمكن حصر الأهداف العامة للتعليم الأصلي في الآتي:

أ: الأصالة:

يهدف التعليم الأصلي إلى تكوين الطالب المقتنع بانتسابه إلى أمته ووطنه، وتشبعه بتصورات ومفاهيم وأفكرا انحدرت إليه من أسلافه عبر أعماق التاريخ، وتبليغها للأجيال على مر الأزمان[9]. ويكون هو في حد ذاته حلقة من تلك السلسلة المحكمة الحلقات التي بانفصام حلقة منها يمحى الوجود.

إن الأصالة تفرض على الإنسان أن يكون غير مجتث الأصول، بل يبقى عالقا بأصله محافظا على عناصر ذاتيته ومكونات شخصيته، يواكب الوجود ويساهم في المسيرة الإنسانية ليبقى عضوا متميزا عنها[10].

إن الأصالة المطلوبة من طلبة التعليم الأصلي تتعارض مع الانسلاخ والانزلاق والذوبان في الغير، وتتنافى مع الجمود والانغلاق والانزواء. بل الاحتفاظ بالأساس والتراث والوفاء للأسلاف بغية الإسهام في المجهود البشري المشترك من بحث عن الحقيقة والقيم والرقي[11].

ومن هنا كان من أهداف التعليم الأصلي في الجزائر تحقيق التألق الأخلاقي والمعرفي للطالب في كل ما يتعلق بالإنسان وحياته، بالإضافة إلى الانفتاح على الثقافة الإنسانية القديمة والحديثة لتمكينه من الوصول إلى الحقيقة بعيدا عن الميول الذاتية ونزعات النفس والهوى. فالحقيقة مهما كان مصدرها تتفق مع مبادئ الإسلام وتعاليمه.

ب: الإنية "الذاتية":

يتعلق وجود أمة من الأمم بوجود إنيتها التي هي أصالتها التي تتكون من الدين واللغة وحب الوطن[12].

إن الإنية تمثل شيئا هاما هو الوفاء لأمانة الأجداد والأسلاف، وحلقة تواصل لكفاحهم عبر العصور. والمتتبع للصيرورة التعليمية والحياة الثقافية في الجزائر يلاحظ أن مصطلح الإنية ظهر مع نشأة التعليم الأصلي لأن مستعمله هو المسؤول الأول عن هذا التعليم المرحوم مولود قاسم أثناء انعقاد ملتقى الفكر الإسلامي ببجاية عام 1974 "إنيتنا أو منيتنا"[13]، ولم ينسبها لنفسه بل نسبها إلى مفكرين وفلاسفة آخرين ثم تبناها واهتم بها وأراد أن يجسدها في المجتمع الجزائري انطلاقا من التعليم

الأصلي. وعليه فإن التعليم الأصلي يبني وعي الطالب بثقافته الإسلامية ليسهم في ترقية الفكر الإنساني الذي هو مصدر تلك القيمة الإنسانية الكبرى التي تتوفر عليها ثقافتنا الدينية.

ج: الوعي والتجديد:

كان الهدف المنشود لطلبة التعليم الأصلي تحقيق وعيهم بالواقع الجديد المتمثل في تغيير الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية بعد الاستقلال. فكان الكل يسعى لأجل العودة إلى الأصالة والتمسك باللغة والدين والهوية والأرض لمجابهة الاستعمار الرافض لوجدهم والساعي للقضاء على عوامل وحدتهم، خاصة وأنه بعد زوال الاستعمار بدأت تظهر عوامل التفرقة وخلافات، فكان لزاما عليهم أن يدركوا أهمية الوعي بالواقع الحضاري والسعي لبث روح التجديد فكريا، انطلاقا من التعليم الأصلي الذي يعتبر منطلقه الشريعة الإسلامية. وهنا نلمس كيف يتاح للفكرة الدينية أن تبني الإنسان ليقوم بدوره في بناء الحضارة. فالفكرة الدينية تبرز المجتمع وتواصل تطوره إلى النور، وتكتمل شبكة روابطه الداخلية بقدر امتداد إشعاع هذه الفكرة في العالم[14]. لأن المسألة هنا ليست مسألة إحلال الماضي محل الحاضر أو القديم محل الجديد، بل هي إعادة بنية الوعي بالماضي والحاضر والعلاقة بينهما وإعادة بنائها كتراث لنا نحتويه بدل أن يحتوينا.

أما التخطيط لثقافة المستقبل فمعناه شروط المواكبة والمشاركة بمواكبة الفكر المعاصر والمشاركة في إثرائه وهذا هو معنى المعاصرة[15].

إن التعليم الأصلي يهدف إلى بعث الوعي لدى الطلبة بالواقع الجزائري، ويدفعهم إلى صحوة وتجديد على أساس بعث الفكر في ثوب جديد ليعود إلى قيادة آمنة نحو العزة والريادة والسيادة إذا راعت الأمة إنيتها وحولتها إلى مشروع حضاري يحقق لها الأصالة التي تمكنها من التميز وبلوغ الخيرية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول المرحوم مولود قاسم: "على المسلمين أن يجددوا أنفسهم بأنفسهم على ضوء تعاليمهم وأصالتهم وتجاربهم

الخاصة بهم وأن يستفيدوا من تجارب الغير على أن لا يسمحوا لغيرهم بأن يملي عليهم خطة سيرهم مهما كانت النوايا والتعليلات"[16].

من هنا نخلص إلى أن تحقيق أهداف التعليم الأصلي تتم من خلال الشباب للقيام بنهضة حضارية بعد تسليحهم بثقافة واسعة متنوعة شاملة تجمع العلوم الدينية والأخلاقية والعلوم الحديثة، بحيث يصبح لدينا الطبيب والمهندس والمزارع وغيرهم مجهزين بأحدث المعلومات والتجارب، وفي نفس الوقت محصنين بأخلاقيات الإسلام والقيم الإنسانية المثلى[17].

الأهداف القريبة:

تتمثل الأهداف القريبة للتعليم الأصلي في الآتي:

أ: انقاذ التلاميذ الذين حرموا من التعليم العام أو من فاتتهم السن القانونية للتمدرس.

ب: غرس الفضيلة في نفوس الشباب عن طريق بث التعاليم الإسلامية السمحة، وتربيتهم تربية متينة تعتمد على الثقة بالنفس والإيمان بالمبادئ المثلى والاستقامة، مما يؤدي إلى ظهور جيل فاضل ومجتمع نقي الأخلاق والسلوك.

ج: الاهتمام باللغة العربية ونشرها على أوسع نطاق حسب الأساليب العلمية ووفق مقتضيات العصر.

د: تكوين نواة لإطارات دينية حفاظا على الشخصية الإسلامية للجزائر، وقادرة على أداء رسالتها بصدق وإخلاص، وعاملة على إزالة كل ما علق بالتعاليم الإسلامية من شوائب المنحرفين وافتراءات المفترين[18].

الأهداف البعيدة

بعد استعادة الجزائر لحريتها حق لها أن تستعيد مجدها الثقافي التليد وتتخلص من التبعية الفكرية البعيدة عن الواقع الجزائري الذي تحياه، ولتتخلص أيضا من تعدد المدارس الإسلامية التي تختلف باختلاف المناهل والمشارب، مما جعل البحث عن وجود تفكير جزائري أصيل صعب المنال.

كما حق للجزائر المستقلة أن تساهم في بعث التراث الإسلامي، وليس هناك من سبيل لتحقيق ذلك سوى المناهج الإسلامية لتخريج عناصر واعية متشبعة بالروح الدينية متفهمة لأسراره ومزودة بالعلوم العامة الدنيوية المساعدة على الاختصاص في فرع من فروعها كالطب والهندسة والرياضيات والعلوم الاجتماعية[19]. وتعمل أيضا على تكوين دعاة للإسلام على أوسع نطاق سواء في الجزائر أو على المستوى الإفريقي خاصة بعدما تعرضت الدول الإفريقية لهجمة مسيحية شرسة بهدف إبقاء السيطرة الاستعمارية عليها. فكانت في حاجة ملحة إلى دعاة ومرشدين سواء من ابناء الجزائر أو من الطلبة الأفارقة الذين تكونوا في معاهد التعليم الأصلي بالجزائر[20].

من هنا عقدت الجزائر العزم على النهوض بهذه المعاهد لجعلها نموذجا سيمح لها بتحقيق النتيجة المنتظرة في أقصر وقت وبأيسر سبيل.

إن تأسيس الدولة الجزائرية لمعاهد التعليم الأصلي قصد تكوين طلبة تحت وصايتها جاء لتلبية احتياجاتها من الأئمة والمدرسين واحتياجات الدولة في مختلف القطاعات وخدمة المجتمع الجزائري بتعليمه تعليما إسلاميا صحيحا بعيدا عن التعصب الأعمى. فهو تعليم عربي إسلامي يتماشى مع متطلبات العصر ومنطلق روح الشريعة الإسلامية الغراء.

ثانيا- دور التعليم الأصلي في إرساء المرجعية الدينية والوطنية الجزائرية

1. دوره في التعريب

سعى القائمون على شؤون التعليم الأصلي في الجزائر إلى إعطاء الأهمية البالغة للغة العربية على أساس أنها الأداة الطبيعية للتعليم والتعلم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للجزائر. لأن الفكر الأصيل لا يتحقق للأمة إلا بتعليم لغتها كتابة وتأليفا. إذ أن قضية تعريب التعليم ترتكز على محاور ثلاثة هي: الأستاذ والكتاب والطالب[21] وإسقاطا عليها تحاول تعميم التعريب في التعليم الأصلي وفق هذه النقاط الثلاث.

أ.الأستاذ

لا سبيل إلى تعريب التعليم ما لم يؤمن بذلك الأستاذ، باعتبار التعريب قضية قومية ووسيلة فعالة للارتقاء بمستوى التعليم، فقد أصر الكثير من الأساتذة على إلقاء دروسهم والتأليف باللغة العربية[22]، خاصة الأساتذة المشارقة الذين استقدمتهم الجزائر وفق شروط ومعايير خاصة تتعلق بالشهادة المتحصل عليها والخبرة المهنية والسيرة الذاتية وغيرها. وقد أعطى هؤلاء الأساتذة دفعا قويا للتعريب في الجزائر.

ب.الكتاب:

يعتبر الكتاب المدرسي وسيلة من وسائل التنشئة التي تنقل المعرفة الفكرية والاجتماعية التي هي حلقة وصل بين المعرفة الثقافية الرسمية المتبعة من قبل الدولة وبين من يستعملها من أجل الدراسة والتدريس، وهي جزء من المناهج تساهم في تنظيم جهاز المعرفة في المجتمع وبذلك تساهم في صياغة المرجعية لما هو واقع المعرفة والإيمان والأخلاق[23].

إن الكتب المدرسية المتعلقة بالتعليم الأصلي كانت هي نفسها كتب وزارة التربية الوطنية في المواد المشتركة مما سمح للقائمين على التعليم الأصلي بالاطلاع على كافة النقائص الموجودة في الكتب المدرسية وأعطت إضافات وتنقيحات لتجسيدها في أرض الواقع لتحقيق معرفة إسلامية بلغة عربية للطلبة الجزائريين، خاصة وأن وزارة التعليم الأصلي كانت لها صلاحيات وضع المناهج وتطويرها، وكذا سلطة الموافقة على استعمال الكتاب المدرسي بعدما حددت الأهداف التعليمية والمدرسية والاجتماعية المنشودة.

إن كتب التعليم الأصلي لم تكن إجبارية لعدم قدرة الوزارة الوصية على توفير كتاب لكل طالب، مما دفعهم للتعامل مع أمهات الكتب الأصلية، فتم توفير الكتب غير المدرسية بمكتبات مؤسسات التعليم الأصلي حتى تكون متاحة للإعارة، خاصة وأن أغلب المؤسسات كانت تتوفر على النظام الداخلي.

ج.الطالب

ارتكز نشاط التعليم الأصلي على عنصر الطالب باعتباره الطاقة الحية للبلاد، وعليه تقع مسؤولية المستقبل بكل أبعادها، فؤخذ بأيديهم وفتحت أمامهم أبواب التعليم الأصلي الذي تدرس جميع مواده باللغة العربية، وفتح المجال حتى للذين فاتتهم سن الدراسة من الشباب وغيرهم ممن يرغبون في تحسين مستواهم الثقافي من الموظفين والعمال، ونظمت لهم دروس ليلية في جميع مؤسسات التعليم الأصلي في إطار الجامعة الشعبية التي أعطت نتائج قيمة في شهادتي الأهلية والبكالوريا.

وبذلك ساهم التعليم الأصلي في معركة التعريب وجزأرة التعليم والإطار، إذ بلغ عدد من التحق منهم بالتدريس ستة آلاف معلم[24].

إن طلبة التعليم الأصلي كانوا متميزين بمستواهم العلمي الرفيع لدرجة مشاركتهم في ملتقيات الفكر الإسلامي ومناقشتهم لكبار العلماء والفقهاء المسلمين وغير المسلمين في ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تنظمها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية. فكانوا يعبرون عن آرائهم وأفكارهم في العديد من القضايا التي تهم المجتمع وتحرير الإنسان من جميع مظاهر المسخ والتشويه[25].

لقد عمل التعليم الأصلي على تحطيم حاجز الصمت الذي يحول دون تحقيق الهدف. فعمل على أن تكون الجزائر معربة في جميع الميادين لتدرك مقامها المرموق بين الأمم.

2. دور التعليم الأصلي في المحافظة على الهوية الدينية للمجتمع الجزائري:

تسعى الجزائر للمحافظة على هويتها العربية الإسلامية التي تعرف بأنها: "جملة الصفات والخصائص التي تمثل القاسم المشترك بين جميع العرب والمسلمين وتميزهم عن الآخرين في عقيدتهم ولغتهم عاداتهم وقيمهم وحتى وعيهم بحاضرهم ومستقبلهم"[26]. وقد طرحت إشكالية الهوية الدينية في الجزائر بحدة عقب الاستقلال مباشرة، خاصة بعدما انتهجت النظام الاشتراكي في عهد المرحومين أحمد بن بلة وهواري بومدين اللذين تحدثا عن اشتراكية إسلامية، بينما المرحومين محمد بوضياف وآيت احمد تحدثا عن الاشتراكية العلمية، أما المرحوم فرحات عباس فتكلم عن

الاشتراكية الإنسانية. ومن هنا تنوعت مفاهيم الاشتراكية في الجزائر، فلم يعد بإمكان الشعب الجزائري استيعاب المفاهيم المطروحة ومقاصد مروجيها[27].

وبما أن التعليم الأصلي ينضوي تحت لواء أهم المؤسسات المنوط بها تقديم نشر المعرفة الدينية كانت برامج التعليم الأصلي بمختلف أنواعها تضم مفاهيم توضيحية للحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري ضمن الإطار الاشتراكي، ويعود ذلك إلى أيام المرحوم أحمد توفيق المدني أول وزير للشؤون الدينية في عهد الجزائر المستقلة الذي لم يكن يرى في الاشتراكية التي انتهجها النظام السياسي في الجزائر بعد الاستقلال اشتراكية "كارل ماركس" أي ذلك النظام الأيديولوجي للفلسفة الإلحادية التي كانت تناقض العقيدة الإيمانية لكافة الأديان. بل يراها اشتراكية اسلامية جزائرية حيث يقول: "إذا كانت الجزائر دولة اشتراكية دينها الاسلام ولغتها العربية فإنها لا تأتي بهذه الاشتراكية لا من موسكو ولا من بيكين ولا من صوفيا ولا من كوبا. بل أننا لا نأت بهذه الاشتراكية إلا من الواقع الجزائري... وبما لا يتعارض مع آيات القرآن الكريم ولا مع سنة النبي صلى الله عليه وسلم"[28].

وقد تكفل النظام الجزائري برعاية الدين الإسلامي. وكان إلحاقه بأجهزة الدولة خيارا سياسيا[29] يضمن السير الحسن للبلاد. وفي هذا المقام قال المرحوم هاري بومدين: "إن الجزائر مسلمة وستبقى كذلك، ولقد قامت القيادة بأهم واجباتها في هذا المجال، والإسلام كان درعا واقيا حفظ الشخصية الوطنية وحافظ عليها. ولا بد أن يلعب في الحاضر وفي المستقبل دور المحرك"[30].

ومما سبق يتضح أن نشأة التعليم الأصلي جاءت في وقت حرج إذ تم تقديم هذا التعليم في البداية باسم التعليم الديني الوحيد الذي أقرته الدولة واعترفت به وعملت على توسيع دائرة انتشاره التعليمي الوظيفي داخل الأوساط الشعبية. لذلك سعى هذا التعليم لتكريس الهوية الدينية للشعب عن طريق تكوين متخصصين في المجال المعرفي الإسلامي لتكوين نخب دينية جزائرية بتغذية الشعور الديني للطلبة وتكوينهم لكسب المعرفة وممارسة الهوية الإسلامية. إذ أن الخطاب الديني الموجه لطلبة التعليم الأصلي كان يجمع العقيدة الإسلامية وفقه العبادات والمعاملات

والأخلاق بما يتماشى وروح العصر. فتم ربط عملية تدريس الإسلام بضوابط محكمة تفاديا للاختلاف المذهبي.

وبما أن التعليم الأصلي سعى لتكوين مؤسسة جزائرية إسلامية متخصصة فالموضوعات التي تضمنها في المواد الشرعية ذات محتوى ديني كان متواجدا في المؤسسات التقليدية، فتصنيف المواد كان تقليديا يشمل كل أنواع المعرفة الإسلامية من حفظ القرآن وتجويده والتفسير والحديث والفقه والفرائض والسيرة وغيرها. وبهذا التقسيم تُبنى المعرفة الأساسية الإسلامية، خلافا لما أدرجته وزارة التربية الوطنية تحت مسمى التربية الخلقية الدينية التي تسطر برامجها وفق طرق واقعية تتلاءم مع الأخلاق الإسلامية لكنها مقتضبة لا تشبع حاجات الطلبة.

إن التعليم الأصلي رسم حدودا واضحة المعالم للهوية الإسلامية لأنها تتعرض للنواحي الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع الجزائري انطلاقا من الشريعة الإسلامية بما يعالج نواحي النقص فيه، مع مراعاة التنوع بأخلاق تسمح بالاندماج والتكيف بسلوكيات إنسانية حضارية في الإطار العربي والعالمي، استنادا لعظمة الإسلام في أي زمان ومكان الداعي للعلم والعمل. وهو بذلك يتوافق مع طرح المرحوم مالك بن نبي لها، والذي كان يطرح المشكلة بمفاهيم الثقافة والفعالية حين يؤكد على أنه ليس المطلوب أن نعلم المسلم عقيدة هو يمتلكها، ولكن المطلوب أن نعيد لهذه العقيدة فاعليتها في حياته.

إن النتائج الباهرة التي حققها التعليم الأصلي في الجزائر في شتى الميادين أثارت الرعب في بعض الأوساط الشيوعية والفرنكوفونية خاصة بعد النجاح في تكوين شباب متضلع في العربية والشريعة الإسلامية بعد تفوق أبنائه في نتائج مختلف الامتحانات. فأخذت المكائد تحاك ضد المشروع منادية بإلغاء التعليم الأصلي تحت غطاء توحيد التعليم[31]. وقد رد المرحوم مولود قاسم على ذلك بقوله: "هذه وخذة للتعليم وليس وحدة لأن هذا هلاك للبلاد"[32].

إن البحث في تجربة التعليم الأصلي في الجزائر من كل جوانبها تقودنا إلى القول بأن إلغاء التعليم الأصلي كان السبب في الانغلاق الديني في الجزائر، فإلغاؤه

دفع العديد من أبناء الشعب الجزائري إلى البحث عن تعلم دينهم لدى جهات أجنبية مادام الطريق المشروع للمعرفة الإسلامية قد أغلق أمامهم. وهذا ما أدى إلى جعل المرجعية الدينية والهوية الوطنية في خطر بعد ظهور تنظيمات وجماعات أصولية متطرفة. فلو أن مشروع التعليم الأصلي وجد المساندة وتمت المحافظة عليه لسارت الأمور بعقلانية وتوازن مدروس ولتفادينا تشرذم شبابنا الذين ذهبوا يبحثون عن غذائهم الروحي في إيران والسعودية وأفغانستان وغيرها، بل وفي كتيبات ومطويات لأناس متطرفين لا علاقة لهم بروح الشريعة الإسلامية السمحاء.

النتائج:

تعتبر تجربة التعليم الأصلي في الجزائر تجربة رائدة كتب لها النجاح بعدما توفرت لها عدة عوامل دعمت كل ما يحفظ للجزائر هويتها ويدعم كيانها. لعل من أبرزها وجود رجال مخلصين تجندوا لإنجاح هذه التجربة الرائدة لكونهم واعين بمشاكل الجزائر، فبنوا تصوراتهم العلمية التي تستند على هوية جزائرية ذات مرجعية إسلامية عربية تشتمل على خصوصيات المجتمع الجزائري، واستجابة لتطلعاته وحلمه منذ أيام الحركة الوطنية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وقد تحقق كل ذلك بعدما تم تسطير برنامج متكامل واضح يتماشى مع مميزات الفرد الجزائري الثقافية والاجتماعية والأخلاقية لأن الهدف من كل ذلك هو أن يكون التعليم الأصلي قلعة الإسلام الصافي البعيد عن الانغلاق والتعصب والبعد عن الانسلاخ والانحلال والتفسخ.

ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج هي:

*أن مفهوم التعليم الأصلي في المجال الفكري والثقافي المعاصر له ارتباط بمفهوم الأصالة الذي كان يحمل دلالات وأبعاد وطنية وحضارية تجمع بين الماضي والحاضر لبناء تصور واضح للمستقبل.

*أحدث التعليم الأصلي ثورة تعليمية تربوية حقيقية في الجزائر في مدة زمنية وجيزة، بإمكانيات مادية وبشرية محدودة عن طريق تكوين نخب دينية وتزويد مختلف

مؤسسات الدولة بإطارات كفؤة ونخب دينية متشبعة بالثقافة الإسلامية والروح الوطنية.

*أعطى التعليم الأصلي في الجزائر دفعا قويا للتعريب، وساهم في إعادة الأمور إلى نصابها، وأعطى اللغة العربية مكانتها الطبيعية اللائقة بها في أوساط المجتمع الجزائري.

*ساهم التعليم الأصلي مساهمة فعالة في الحفاظ على الأخلاق الإسلامية في المجتمع ومحاربة مختلف الانحرافات والآفات الاجتماعية.

*دفعت الجزائر الثمن غاليا بعد إلغاء التعليم الأصلي بحيث سارع بعض الشباب المتحمس للبحث عن مصادر وجهات أجنبية خارجية ليتعلم دينه مما أدى إلى الانحراف في العقيدة والسلوكيات وبعض الممارسات التي لا تمت للإسلام الحنيف بصلة كالتطرف والتكفير والإرهاب وغيرها. كل هذا جعل المرجعية الدينية والمذهبية والوطنية في خطر ما لم تسارع السلطات المعنية بتدارك هذه الأخطار.

وبناء على النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة يمكن الخروج بجملة من التوصيات لعل أهمها:

*تسليط الضوء على التعليم الأصلي، وإيلائه الأهمية التي تليق به، وذلك عن طريق القيام بمزيد من الأبحاث والدراسات التي توضح ماهيته ومنهجيته، وتنوه بمخرجاته الإيجابية من طلبة مزودين بمعارف عن العلوم الشريعة والكونية تؤهلهم للمساهمة في بناء الدولة والحفاظ على هويتها.

*لفت انتباه الوصاية إلى ضرورة إعادة بعث التعليم الأصلي من جديد كونه جديرا بالتربية الدينية والخلقية للنشء، فإن لم يكن ذلك على الأقل علينا الاستفادة من منهجيته في ترسيخ الهوية القومية العربية الإسلامية في نفوس طلبتنا اليوم لصيانتهم من الاغتراب الذين يتخبطون فيه والحد من انعكاسات العولمة على شبابنا.

الهوامش:

[1] – الجريدة الرسمة: الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية – العدد 06، السنة التاسعة، 21 جانفي 1972، ص58.

[2] – أرشيف وزارة التعليم الأصلي الشؤون الدينية – العلبة 187 – تقرير عن منجزات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية خلال العشرية 1965-1975، ص01.

[3] – نفس المصدر، ص01.

[4] – الطاهر زرهوني – التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال – المؤسسة الوطنية للفنن المطبعية – الجزائر 1994 – ص42.

[5]– نفس المرجع – ص74.

[6] – الطاهر سعود – الحركات الإسلامية في الجزائر الجذور التاريخية والفكرية – مركز المسار للدراسات والبحوث – دبي – الإمارات العربية المتحدة – ط1 – 2012 – ص362.

[7] – أرشيف وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية – العلبة 269 – تقرير عن منجزات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية خلال العشرية 1965-1975، ص01.

[8] – نفس المصدر – ص02.

[9] – بوعلام الجهري – البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم – دار الخلدونية للنشر والتوزيع – الجزائر – 2012 – ص132.

[10] – نفس المرجع – ص132.

[11] – نفس المرجع – ص140.

[12] – حسن حنفي حسنين – الهوية – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – مصر – 2012 – ص17.

[13] – بوعلام الجهري – مرجع سابق – ص141.

[14] – مالك بن نبي – شروط النهضة – ترجمة عبد الصبور شاهين – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق – سوريا – 1986 – ص68.

[15] – محمود عابد الجابري – اشكاليات الفكر العربي المعاصر – مركز دراسات الوحدة العربية – ط2 – بيروت – لبنان – 1990 – ص40.

[16] – مولود قاصم نايت بلقاسم – أصالة الانفصالية – ج1 – شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر – 2013 – ص89.

[17] – بوعلام جوهري – مرجع سابق – ص161.

[18] – أرشيف وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية – العلبة 114 – نشأة التعليم الديني بالجزائر – ص05.

[19]– أرشيف وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية – العلبة 114 – نشأة التعليم الديني بالجزائر – ص06.

[20] – نفس المصدر – ص06.

[21] – محمد حسن عبد العزيز – التعريب في القديم والحديث – دار الفكر العربي – القاهرة – مصر – 1990 – ص172.

[22] – نفس المرجع – ص173.

[23] – اسماعيل أبو سعد – التعليم العربي في إسرائيل وسياسة السيطرة – واقع التعليم في النقب – جامعة بن غوريون – القدس – فلسطين – 2011 – ص110.

[24] – أرشيف وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية – نشاط زارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية خلال 1965–1975 – العلبة05 – ص03.

[25] – مجلة الأصالة – منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية العدد – 02 — ماي 1971 – ص165.

[26] – شريف رضا – الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العلمة عند الجابري – مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع – الجزائر – 2011 – ص18.

[27] – عبد القادر خليفي – أحمد توفيق المدني دوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983– رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر – جامعة منتوري – قسنطينة – 2006–2007– ص231.

[28] – نفس المرجع – ص232.

[29] – – الطاهر سعود– مرجع سابق – ص362.

[30] – سعد بن البشير لعمامرة – هواري بومدين الرئيس القائد 1932–1978– ط1– قصر الكتاب – البليدة – الجزائر – 1997– ص101.

[31] غ أبو القاسم سعد الله – خارج السراب – مقالات تأملات – دار البصائر للنشر والتوزيع – ط2 – الجزائر – 2009 – ص151.

[32] – محمد الصغير بلعلام – التعليم الأصلي والمؤسسات الدينية وترقيتها – أعمال الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم – ج1 – منشورات المجلس الإسلامي الأعلى – 2005 – ص189.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله – خارج السراب – مقالات تأملات – دار البصائر للنشر والتوزيع – ط2 – الجزائر – 2009.
2. اسماعيل أبو سعد – التعليم العربي في إسرائيل وسياسة السيطرة – واقع التعليم في النقب – جامعة بن غوريون – القدس – فلسطين – 2011.
3. بوعلام الجهري – البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم – دار الخلدونية للنشر والتوزيع – الجزائر – 2012 .
4. حسن حنفي حسنين – الهوية – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – مصر – 2012 .
5. سعد بن البشير لعمامرة – هواري بومدين الرئيس القائد 1932–1978– ط1– قصر الكتاب – البليدة – الجزائر – 1997.
6. شريف رضا – الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العلمة عند الجابري – مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع – الجزائر – 2011 .
7. الطاهر زرهوني – التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال – المؤسسة الوطنية للفنن المطبعية – الجزائر 1994 .
8. الطاهر سعود – الحركات الإسلامية في الجزائر ، الجذور التاريخية والفكرية – مركز المسار للدراسات والبحوث – دبي – الإمارات العربية المتحدة – ط1 – 2012 .
9. عبد القادر خليفي – أحمد توفيق المدني دوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983– رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر – جامعة منتوري – قسنطينة – 2006–2007.
10. مالك بن نبي – شروط النهضة – ترجمة عبد الصبور شاهين – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق – سوريا – 1986.
11. محمد الصغير بلعلام – التعليم الأصلي والمؤسسات الدينية وترقيتها – أعمال الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم – ج1 – منشورات المجلس الإسلامي الأعلى – 2005 .
12. محمد حسن عبد العزيز – التعريب في القديم والحديث – دار الفكر العربي – القاهرة – مصر – 1990 .
13. محمود عابد الجابري – اشكاليات الفكر العربي المعاصر – مركز دراسات الوحدة العربية – ط2 – بيروت – لبنان – 1990 – ص40.

14. مولود قاصم نايت بلقاسم – أصالة الإنفصالية – ج1 – شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر – 2013 .
15. الجريدة الرسمية: الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية – العدد 06، السنة التاسعة، 21 جانفي 1972.
16. أرشيف وزارة التعليم الأصلي الشؤون الدينية – العلب رقم 187 ، 269– تقرير عن منجزات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية خلال العشرية 1965–1975.
17. أرشيف وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية – العلبة 114 – نشأة التعليم الديني بالجزائر.
18. أرشيف وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية – نشاط زارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية خلال 1965–1975 – العلبة05.
19. مجلة الأصالة – منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية العدد – 02 — ماي 1971.